محمد شرارة.. الشجرة الوارفة

محمد سعيد الصكار
mohammed_saggar@yahoo.fr

قلت للسيدة بلقيس شرارة، في حوار تلفوني قبل اسبوعين، إنني لا أستطيع التعقيب على جهدها البارع في رسم صورة لأبيها الإنسان في كتابها (محمد شرارة – من الإيمان إلى حرية الفكر) ، ذلك الإنسان الذي أتحفني الزمان بالتعرف عليه في ما أتحفنا يومذاك، يوم كنا في مهرجان الشباب والطلاب في موسكو عام ١٩٥٧؛ فلست من الكفاءة النقدية التي تفي الكتاب حقه .

كنا نتمشى في الشارع القريب من فندقنا في موسكو، عندما التقيته، وعرّفني على زميلة كانت معه؛ هي(محسنة توفيق) التي صار لها شأن كبير في مجال الفنون المسرحية، والمواقف الوطنية .

كان ذلك عام ١٩٥٧. ولم نلتق إلا بعد ثلاثة أعوام في خلية حزبية شيوعية، شاء الحزب أن أكون مسؤولاً عن تنظيمها بعد غياب منظمها الشاعر محمد صالح بحر العلوم لأسباب لا أعرفها .

وكانت الخلية تضم عدداً من الكتاب والأدباء المرموقين، من بينهم عبدالرزاق عبدالواحد ورشدي العامل وغايب طعمة فرمان وسليم غاوي ومحمد شرارة؛ وكنت أصغرهم سناً، وكان ذلك يسبب لي حرجاً، إذ كيف لي أن أنظم شخصاً بقامة محمد شرارة الذي أضنى عمره في النضال قبل أن أولد أنا؟

ولكن محمد شرارة كان أخاً ورفيقاً وأستاذاً من الطراز الأمثل .

تقول السيدة بلقيس، في(ص ٢٩٤ وهامشها) إن اجتماعاتنا كانت تُعقد في بيت الشاعر محمد صالح بحر العلوم، والحقيقة إنها لم تعقد أبداً في بيته، إنما كانت في بيوت أخرى من بينها بيت الشاعر عبد الرزاق عبدالواحد في الكاظمية . ولم يكن بيننا في هذه الخلية قطعاً عبد الوهاب البياتي وسعدي يوسف .

لم يكن أحد منا يظن أن محمد شرارة، هذا الكاتب المكافح على مدى ستين عاماً لم يجد له مستقراً يؤويه، لا في بيروت ولا في بغداد، وهو ينتقل من بيت إلى بيت اثنتي عشرة مرة في بغداد وحدها، وأنه وعائلته عانوا من عسر العيش والمطاردات في الرزق وفي العمل وفي الإنتاج الفكري هذه المعاناة التي كان يخفي علينا الكثير منها، نحن تلامذته ورفاقه، لعزّة نفسه ورفعته، ومعنوياته العالية واكتفائه بدوره التنويري الذي تجاوز منجزه الفكري إلى واقعه الكفاحي الذي لم يبخل به في أحلك الأزمات . فطورد وحوصر وضويق، ولم يرم قلمه ولم يؤجل موقفه الوطني والإنساني لحظة واحدة . إنه من الشجرة الوارفة التي أرسلت أفياءها وهي تقاوم الريح والغبار وقسوة الطبيعة وظلام الأفكار .

بلقيس، في هذا الكتاب لم تكتف برسم صورة واسعة لحياة والدها، بل عززت ذلك بالنصوص الكثيرة التي تفصح عن دقّة المعنى وحلاوة الأسلوب ووضوح الرؤية التي عُرف بها الفقيد. وراحت ترسم صورة مفصلة عن البيئة التي عاصرتها، والوضع السياسي، والحياة العائلية، فجاءت بالكثير من الممتع والمؤلم لما في بغداد في ذلك الزمان، موثّقة ذلك برسائل ومقابلات وأعتقد الكتاب وثيقة أدبية وسياسية، وأغنته بهوامشها الشخصية التي منحته نكهة أدبية رغم اختلاط المناهج التي اعتمدتها والأغلاط التي حفل بها الكتاب، نحوية ولغوية وإخراجية، وقد أخبرتني بأسبابها، وهي التدخل بأنظمة تصميم الحروف، مما يستلفت العناية في طبعته التالية، وهو ما وعدتني به المؤلفة، فلها الشكر على ما وعدت وما أنجزت .

محمد شرارة يستحق منا أن نتملى إنجازه الفكري والأدبي بوجه خاص، في مدار أوسع مما في الكتاب . فهو ساحر الأسلوب دقيق المعاني أنيق العبارة بارع التحليل، سواء في مساجلاته الفكرية والسياسية، أم في كتاباته الإبداعية؛ وفي كتابيه(نظرات في تراثنا القومي) و(المنتبي بين البطولة والإغتراب) اللذين جمعتهما ابنته الفقيدة حياة شرارة الكثير من تلك النصوص الثمينة الجديرة بالمراجعة والتقييم .

بورخيس.. وتوافهه العتيقة النادرة!

ترجمة/ عادل العامل

عندما وضع الكاتب الأرجنتيني خورخ لويس بورخيس كتابه هذا، جعله من ٨٢ وصف يأخذ صفحة أو صفحتين في ما يتعلق بكل شيء، من البورميتز Bormetz، (نبات صيني يشبه في شمكله الخروف ويغطيه صوف ذهبي اللون)، إلى السيمَر Simurgh، (وهو طائر خالد يقيم عشه في شجرة العلم) والزاراتان Zaratan، (وهو حوت مكّار بشكل خاص)، في " مختارات علم الحيوان الخيالي " في عام ١٩٥٤. وقد أضاف ٣٤ وصفاً آخر، معها الرسوم البيانية، لطبعة عام ١٩٦٧، التي أعطاها العنوان الحالي، " كتاب الكائنات الخيالية "، وقد صدرت بالانكليزية في عام ١٩٦٩. وهذه الطبعة، بترجماتها الحالية ورسومها التوضيحية الحديثة، تمنح الكائنات حياة جديدة. وهي تبيّن المؤشرات الرائعة لتأملات بورخيسية كلاسيكية في كل شيء، من علم أصول المفردات الأنجليزية إلى العالم السفلي، وتعطي المخلوقات شكلاً متناسباً تماماً.

و قد جاء في عرض لصحيفة واشنطن بوست في ما يتعلق بهذا المخلوقات أن مجرد تسمياتها تبدو سحرية.. لاميا، باسيليسكا، هيبوغريف، فونيكس، مانتيكور، غوليم، سايرين، ماندريك... وسواء كانت مخلوقات أسطورة أم ادّعاء، فإن هذه " الكائنات الاستثنائية " تندس إلى الأبد في ارتدادات خيالنا، وهي تقتل بنظرة واحدة، أو تنهض من رماد حرائقها الجنائزية، أو تغوي البحّارة بأغنية. إنها مادة حكايات المسافرين، حيث تختفي قليلاً فقط وراء الأفق، في مكان ما في مملكة بريستر جون الزاخرة بالأعاجيب أو حيث غدت زائلةً فقط في تلك الأقاليم الضبابية المؤشر عليها بعبارة: " هنا توجد تنانين ". فكم كانت ستصبح بائسةً حيواتنا، وبوجه خاص طفولاتنا، من دون أحلام تلك الكائناتً الخيالية كالقنطور، والجن، وطيور الرخّ العملاقة!

عندما كنت أنمو في الخمسينيات وأوائل الستينيات، لم تكن هناك تسلية لقضاء أمسية السبت أفضل من زيارة لدار السينما حيث تعرض أفلام مثل " جَيسون والمغامرون "، " رحلة السندباد السابعة "، أو أي فلم من أفلام هرقل. وهي أفلام زاخرة بالأعاجيب المستحيلة والوحوش الغريبة. لكنها لم تكن مخيفةً على وجه الدقة، وإنما ببساطة وبشكل رئيس مثيرة للدهشة. فأنت يمكن أن ترتجفً قليلاً حين تهجم الخفافيش الخرافية التي نصف جسمها امرأة والنصف الآخر طير، أو حين يظهر الجنّي من المصباح، لكنك تشعر على الأكثر بشيء ما من الرهبة. ولا يسعك أحياناً إلا أن تميل إلى صديق في المقعد المجاور هامساً " إن ذلك بارد، يُصيب الواحد بالقشعريرة ". وهكذا كات الحال.

إن الخرافي الأرجنتيني العظيم خورخ لويس بورخيس (١٨٩٩ ــ ١٩٨٦) لم يتدفق أبداً كواحد في الثانية عشرة من عمره، لكن بإمكانك أن تقول إنه يجد المواد الـ ١١٦ في (كتاب الكائنات الخيالية) باردة إلى حد ما أيضاً. فكل مادة تُشغل صفحة أو صفحتين وتركز إما على وحش واحد مثل البَهيموث أو الشيمرا أو أنها تلخّص معرفتنا الأساسية عن الأرواح الأنثوية المولولة، مثلاً، والسِّلفات السماوية، والساطيرات، (آلهة الغابات عند الأغريق).

إن بورخيس يراوح على نحو واسع في الزمن والمكان معاً، ويضمّن الأودرًاديك (الذي يظهر في قصة لكافكا)، والملائكة الذين لمحهم الفيلسوف الروحاني إيمانويل سويدينبورغ، وحتى حيوانات الحكايات الطويلة من الغرب الأميركي: الغوفانغ، مثلاً، الذي " يسبح بالعكس وبذلك لا يدخل الماء في عينيه. وهو بالضبط بنفس حجم سمكة الشمس الضخمة، فقط أعرض ". ويورد بورخيس في كل صفحة تقريباً بعض التأكيدات أو الحكايات النادرة، من قبيل: " يخبرنا ديكارت بأن القرود يمكنها أن تتكلم إذا أرادت ذلك، لكنها قررت أن تبقى ساكتةً من أجل ألا يرغمها البشر على العمل ". أو أعلن أسقف دانماركي من القرن الثامن عشر بشكل لا جدال فيه أن " الجزر الطافية كراكين على الدوام " (والكركن وحش خرافي اسكندنافي). " أما الكائن الذي يُدعى بالداندرز فهو، كما نعلم، يتطوع أحياناً لتعليم فن التكلم مع الأشياء التي تكون بطبيعتها بكماء، مثل الكراسي والمصاطب، والقدور وغلايات الشاي ".

و كما يمكن للمرء أن يتوقع، فإن بورخيس ليس بشيء إن لم يكن مستودعا لكل نوع من التوافه العتيقة النادرة. وليس مدهشاً أن تتخذ بعض مواد كتاب الكائنات الاستثنائية هذا شكل بعض شخصيات بورخيس. ولنتأمل الصفحات المتعلقة بـ " الحيوانات التي تحيا في المرآة ". فوفقاً للصينيين... لكن دعونا نستمع للأستاذ وهو يحكي لنا القصة:

" في تلك الأيام، لم يكن عالم المرايا وعالم البشر، كما هما الآن، منفصلين وغير مرتبطين أحدهما بالآخر. وكانا، أكثر من هذا، مختلفين بعضهما عن بعض تماماً؛ كما لم تكن المخلوقات ولا الألوان ولا الأشكال الموجودة في العالمين هي نفسها. كانت المملكتان ـ المرئاتية والبشرية ـ تعيشان في سلام، وكان الواحد يمكنه أن يدخل ويخرج من خلال المرايا. وعلى كل حال، ففي إحدى الليالي قام سكان المرآة بغزو هذا العالم. وكانت قوتهم عظيمة، لكن بعد معارك دامية كثيرة، تغلّب سحر الإمبراطور الأصفر. وقد صد الإمبراطور الغزاة وسجنهم داخل المرايا، وعاقبهم بجعلهم يكررون، مثلما في نوع من الحلم، كل أفعال قاهريهم البشر. ثم جرّدهم من قوتهم وشكلهم وأنزلهم إلى مجرد انعكاسات عبدية للبشر. وعلى كل حال، فإنهم سينفضونً عنهم ذات يوم ذلك الخمول السحري ".

هل تريدون سماع بقية القصة؟ أعتقد ذلك.

" سيكون أول من ينهض هو السمكة. في أعماق المرآة، سنلاحظ خيطاً ضعيفاً، ضعيفاً، ولون ذلك الخيط لن يشابه أي لونٍ آخر. ثم ستبدأ أشكال أخرى بالنهوض. وتدريجياً ستصبح مختلفةً عنا ؛ تدريجياً لن تعود تقلدنا؛ وستكسر حواجز الزجاج أو المعدن وتعبر، وفي هذه المرة لن تُقهر. وستقاتل المخلوقات المائية جنباً إلى جنب مخلوقات المرآة ".

و يُنهي بورخيس حكايته الخرافية بتعبير بلاغي مثير: " في مقاطعة يونان، يتحدث الناس لا عن السمكة بل عن نمر المرآة. ويرى آخرون أننا سنسمع من أعماق المرايا، قبل الغزو، قعقعة الأسلحة ".

عن amazon

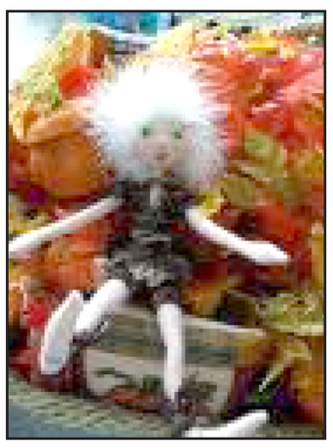

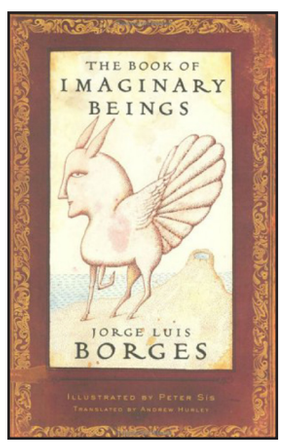

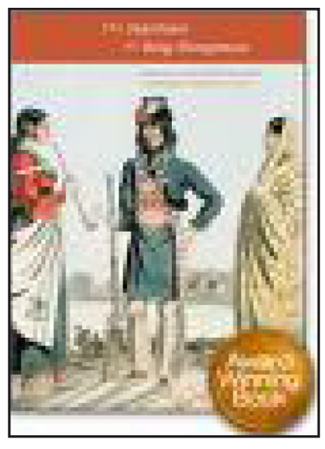

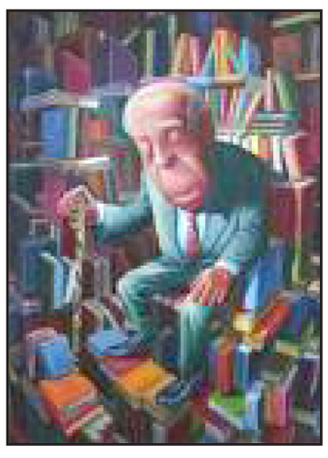

قناديل

ألا من مجاهدين يعلنون الحب شريعة لنا؟؟

لطفية الدليمي

لماذا لاتقوم حركات مجتمع مدني لنشر المحبة؟ لماذا لا تؤسس جمعيات تعمم التسامح وتعلم الأجيال عشق الحياة والتغني بها بديل عشق الموت وتدمير الأرض ومن عليها؟؟

إن كل حدث ونشاط انساني على هذه الأرض، يحصل إما بفعل الحب او بفعل نقيضه : الكراهية ومجمل ما أنتجته الحضارة الإنسانية في عصورها المتعاقبة قائم على حضور الحب أو غيابه،الغزوات والحروب والقتل والتعذيب والإغتصاب والنهب والتدمير وإرهاب المختلف، تغييب فعلي للحب ونفي للمحبة وإشهار للكراهية وأولها كراهية النفس القاتلة لنفسها..

الكتابة كأداء إنساني متسم بالجمال، تعني في أول تجلياتها إستحضارا للمحبة، فهي تعول على مثولنا في الحاضر – بأجسادنا وأوهامنا وظلالنا وتستدعي بالحب ما غاب وما تناءى عنا من أقانيم البهجة او مبررات الفرح او محفزات الحلم، تشكل جسد الوقت وتمنحه صورة مرئية وتجمل مادته وتزوده بالمعنى – بما هي خروج على الصمت والسكون وإستعادة لقدرات التخيل التي فقدناها عند أفول سحر الخرافة و الأسطورة حين تعقلن النص وتفلسف وتنأى عن الرؤى البدئية والتصورات الشعرية البكر عن أنفسنا وعالمنا..

يقول جيل دولوز (نحن لا نكتب إلا بفعل حب،وكل كتابة هي رسالة حب، وينبغي الا نموت إلا بفعل حب وليس ميتة تراجيدية، وينبغي الا نكتب الا بفعل هذا الموت،او نكف عن الكتابة إلا بفعل هذا الحب)

داخل النصوص وفيما حولها في الهامش اليومي نعثر على صيغ الحب وأشكاله وحضوراته

ونتلمس فيها صورة العصر وتحولات المجتمعات وسياسات الحكم ومكانة المرأة في الحب وتجليات الشغف في مثولها الوجودي، وحالات القمع والعسف التي تتعرض لها داخل نص الحياة المعيش وضمن النص المدون..

الشعر يقود خطى (الحب) في متاهة الأمكنة وتقلبات الزمان، يعلمه النطق ويشهر بين تشوقاته الموسيقى والغناء ووهجات الفن، وبالشعر يتوسل الحب بلوغ مراميه،وفي الميثولوجيا تتقرب ربات الحب الى المحبوب بترنيمات وأناشيد، فهذه عشتار تغوي دموزي (تموز) بالقصائد وتتضرع لكلكامش بالشعر والترتيلات، وتبارك الكاهنات والعرافات العشاق بإنشاد ترانيم وتعويذات..

الشعر– اللغة المفارقة لليومي والمترنحة عند تخوم السحر هي وسيلة الحب و إطاره الجمالي

كما نجدها لدى التروبادور أولئك الشعراء الجوالون مثلما نجدها عند الفرسان والعشاق العذريين، وهم ينشدون أغانيهم تقدمات بين أيدي السيدات المعشوقات..

كان جهاد الفرسان والشعراء العظام في العصور السالفة مقرونا بالعشق والقيم الكبرى، وكانت فروسية الحب أن يسمو بالحياة فوق الدناءة والغل والثأر والكيد للآخر،و كان مجاهدو العصور الجميلة يفتدون الحب ويجبرون عثرات المنكودين، ويسقون الظِماء حصتهم من ماء الحياة.

مجاهدو اليوم يوجهون جهادهم الزائف على فعل الإبادة و القتل وتدمير الجمال و كل شي ويعزز جهادهم الدموي كراهية الحياة والأحياء ويعملون كمندوبين دائمين للموت والخراب..

لوكا ن هؤلاء المتسربلون بعباءة الجهاد، يعرفون الله حقا لعرفوا أن الله محبة ولجاهدوا من أجل محبته بإدامة الحياة..

هل الكراهية أيسر أداء من الحب –كونها تهدم وتدمر بينما الحب بنّاء ومجدد ومغيّر للحياة؟؟

ما أتعس البشرية وهي عاجزة عن إجتراح المحبة و ما أتعس الإنسان في وحشة الكراهية؟؟

كل حروب الارض فعل كراهية للحاضر والغد،وكل ابداعات الإنسان من عمارة وموسيقى وتشكيل ورقص وغناء ونحت هي افعال حب مستقبلية، كل نص فاتن وكل قصيدة يرددها

الناس هي نتاج حب للحياة والغد..

عجز الفرد عن رؤية الجمال أوتذوقه ينتج افعال عنف خطيرة تدمر المجتمعات ومن يفتقد الحرية غالبا مايعجز عن اتيان أفعال محبة وابداع،فالعبودية تنتج الكراهية والحقد ونزعات التدمير وكل انتحاري هو ضحية استعباد فكري وعقائدي، حوله من كائن سوي إلى قاتل من سكان المغاور والكهوف أو مسخه حيوانا ضاريا شريعته الدم والناب والمخلب وعقيدته غلبة الفناء والموت على البناء والحياة..

الا من مجاهدين يعلنون الحب شريعة بين البشر؟؟ ألا من تظاهرة تجاهر بالمحبة وتعلي رايات الحياة في مدننا الجريحة؟؟

مرحى لمجاهدي المحبة القادمين حتما لمحو أحزاننا..

على قاعة اكد.. كفاح الامين في وهم المكان

محمود النمر

اقيم على قاعة اكد في يوم السبت معرض فوتوغرافي للفنان كفاح الامين،الذي اشتغل بمعرضه،هذا على اللون الابيض والاسود وهي دلالات توحي بتشكلات كشف هاجس الفقر والخوف والتهميش،وتسليط الضوء على معاناة الانسان العراقي ،لذلك ظهرت جميع لوحات المعرض تقف على بوابات معتمة ونصف مضاءة، وحتى الوجوه كانت بنصف دائرة الوجه، وهي ايحاءات ذات قصدية تدرك حجم الخراب الذي ترك اثاره على جميع موجودات الحياة،وحين سألت الفنان كفاح الامين عن ثيمة المعرض.. قال:

هذا المعرض هو علاقة الكائن بالمكان ،هناك علاقة جدلية بين الكائن والمكان وهما مرتبطان ببعضهما وهم مكملان لبعضهما واي خراب يصيب الكائن يصيب المكان ولذلك احاول ان اطرح بعض الاسئلة للكائن انه يخرج من هذا الالم والحزن والخراب ومن هذا الرماد من هذا الاشتعال ،وليخرج نحو الشمس نحو النور ،وهي اسئلة والشيء الجميل في هذا المعرض لم يشكرني احد على معرضي هذا ،كلهم يسألون ماالذي تريد ان تقوله في هذا المعرض ؟وهذا شيء يفرحني لاني انا جزء من هذا العالم وجزء من الازمة وجزء من المشكلة ولهذا اريد ان اسمع من الاخرين واسئلتهم تهمني.

× ارى في هذه اللوحات نصف وجوه لماذا..؟

– انا احاول قدر الامكان ان اعطي فرصة للتأمل للاخرين ،انا ازيح العناصر الزائدة ،حتى يكون هناك نص بصري مثلما يكون هناك نص شعري ونص روائي واعمالي هي نصوص بصرية ،نص يعبر عن ذاته بالطريقة التي افترضها وهي فكرة مكملة لبعضها ،هناك قصيدة لاتشبه قصيدة وعمل بصري لايشبه عملاً بصرياً، وهي نفس الايقاع مثلما الشعر يختلف عن النثر ،على الاقل احاول ان اترك بصمة خاصة بي حتى يمكنك ان تشير الى ان هذه اللوحة هي الى كفاح الامين ،وهذا ما اتمناه ان تكون لي بصمة بالواقعية التعبيرية.

×عذرا اني ارى اللوحة ذات القدمين مشوهة وعلى قدر غير واضح بالتعبير للمشاهد..؟

– هناك الكثير من الاشياء غير مألوفة انا احاول ان اعطيها الفة ،وهذه القدم المشققة فيها خيارات للمشاهد الذي يرى ويضع الاسئلة اذا وضعت قدما ثابتة وجميلة ربما ستعبرها ولكن هذه القدم ستمنحك الاسئلة لماذا وكيف وماذا تعني ،النص الفوتوغرافي عندي انا يحيلك الى مناطق الاسئلة.

×ارى في جميع اللوحات عتمة وخياًلا وعدم كشف الضوء،هل كان هذا ضمن قصدية..؟

–الى حدما هو قصدية واثارة التساؤل ،انا اريد الرائي ان يتساءل ويبحث عن السؤال وهذا هو المهم لي ،فانا لااعطي اجابات انا مشمول ايضا بالاسئلة.

–وقال الفنان الفوتوغرافي محمد عزيز الجاف ان هذا هو المعرض الاول الذي اشاهده الى الفنان كفاح الامين ،والذي شدني الى هذه الاعمال هو التفرد في الموضوعة والفارق الذي بيننا وبينه ،هو يمتلك رؤيا خاصه به وهذه ليست موجودة عند كل فنان فوتوغرافي او مصور، ولديه بعد اكثر من الاخرين وخاصة في اللونين الاسود والابيض.

–واكد الفنان التشكيلي كريم جبار ان هذا الفنان هو مثقف شامل وهذه الاعمال شكلت لي وللاخرين مفاجأة ،وهي قيمة لايمكن ان يبلغها اي انسان يمتلك كاميرا وهو فنان بمستوى الفنانين التشكيليين الكبار،وهناك اعلان قديم الى كوداك تقول ان للاسود والابيض مكانتهما الخاصة ،ونحن ربما عندما نحلم يكون بالابيض والاسود.

–كما رأى الفنان المبدع فؤادشاكر ان هذا المعرض له خصوصية متفردة ونادرة ويوحي لي بان الفوتوغراف يستعيد عافيته الابداعية والفنية والانسانية في هذا الظرف العصيب الذي ظهر فيه فوتوغرافيون لايعرفون خصائص الالة ويصور كيفما اتفق،وهذا المعرض جاء لتصحيح المسار الفوتوغرافي ،وكفاح اشتغل على انقاض المحيط البيئي بذكاء وانحياز عظيم ،ولعل هذه الاماكن هي التي ولد فيها وقضى فيها طفولته وشبابه، وحينما عاش في المنافي مثل اوكرانيا والمانيا ولما عاد الى بغداد شده الحنين الى هذه الاماكن الذي يبدو فيها الانسان مقهورا ومنتزعاً ومنفي واشتغل على هذه الثنائية وهي ثنائية الواقع البيئي وتوغل الى ابعد نقطة قلما ينوشها الضوء واستطاع بعدسته الذكية ان يعبر عن انسانيته من خلال هذا المعرض وتلك اللوحات.